

باب التوبة والتعلم

المكتوب السابع من أميل الى أمه
في ابتداء العشق وغرور الشاب الغرّ بالمشوقة

عن بن في ٢٨ سبتمبر سنة ١٨٦

لقد كان قولك حقاً أيتها الوالدة العزيزة فإني قد خدعت نفسي ولا حق لي في الشكرى على كل حال ممن كنت أحبها لأنها لم تكن التزمت لي شيئاً ولا وعدتني الصدق في حبي بل أنها بما كانت مغمورة فيه من ضروب التبجيل والتكريم تفضلت فقبلت مني اعتباطاً صنوف اجلالي ودلائل اعظامي وقد كان هذا منها لي تشریفاً كبيراً وأظن أن من كفران نعمتها ان أهمها بخياني فإنه لم يكن من ذنبها ان كنت جاداً فيما لم يكن غيري يتعاطاه الاهازلا

على اني ان قلت لك اني كنت أفكر في أمرها دائماً على هذا النحو كنت كاذباً فان الصدمة التي هدمت صرح غروري بها تلتها ساعة دهش وذهول خيل لي فيها ان السماء خرت على رأسي وصرت كاني في حيز الفناء وانك قد تقولين انك لست أول من ابتلي بهذه الضروب من انكشاف الاباطيل وزوال الاوهام وهو قول لا ريب عندي في صحته غير ان ما ينتاب الانسان لأول مرة في حياته يخيل له انه لم يحصل لاحد غيره في الدنيا فكنت أسائل نفسي هل يمكن أن يوجد في البرية من يبلغ مبالغها في الخيانة أو ليس الحسن الانقبا لتناق وأقول انها لشدة ما سخرت مني لسلامة نبي وسرعة تصديقي واحس بقشعريرة القبرة تدب في جسي حتى تبلغ نخاع عظامي .

وأول يوم قامت بنفسي فيه الريب على صدقها فررت من المدينة هاتماً على وجهي كالجنون أخبط خبط عشواء وقد تعاقبت على بصري في مسيري مشاهد دجة من سنابل الخنطة المدركة، والقنابر المفردة، وما في الهواء من الروح الخافق

تابع ترجمة كتاب أميل القرن التاسع عشر في العربية

وجدنا وحبا والكفور والطواحين التي تنكشف للرأي في أمكنة مختلفة من خلال حجب الأشجار وقد مزقتها يدالريح ، وخرب الماء المتدفق من ينايمه المتحبة تحت الحضرة والديكة المقبضة المنطرسمة واقفة على الدمن ورافعة عقيرها بزقائها النفاذ في كبدالسياء، وامرأب المصافير نائرة متعاقبة في الجو متنافرة ، وغير ذلك من المناظر التي لولا هذه الاحوال لمزت نفسي وشرحت صدري فلم تلفني عن هذه الفكرة الثابتة في ذهني وهي أنها تنشي

لما رجعت الى المدينة كان الليل قد جن فلمحت شبحا مبهما يسري وجدران البيوت كأنه ظل فلما بلغ منطف الشارع سقط عليه ساطع نورالغاز المنعكس فأراني انه فتاة شاحبة اللون رثة الثياب تحمل طفلا على يديها ولست أدري تمام الدراية لماذا خطر بفكري لرويتها أنها خدمت ثم هجرت وسألت نفسي سوألا محقق هل تنقسم النساء في هذه الايام الي طائفتين طائفة خادعة وطائفة مخدوعة ، تأثرت هذه الفتاة بعضا من الزمن يجذبني اليها نوع من العطف لا أعرف سره حق المعرفة فكلمها كانت تمر على نور مصباح كنت إبخالي أقرأ في وجهها خاطر الانتحار وقد كنت من تسخطي لحالي بحيث ابي كنت اود لو أجد السبيل الى عمل من أعمال البر وما عمت الفتاة ان دخلت في مأزق من حارات ضيقة مظلمة ينتهي الى فناء تكثفه اطلال دارة وفي ركن من هذا الفناء بر سردت فوهتها بغطاء غليظ من خشب مسوس مشقق فرمت الغطاء بأحدى يديها الماريتين واتكأت برقبها عن فم البئر وأرسلت بصرها في غيابتها وعليها سمة القنوط وفي هذه الساعة انفلت القمر من قبضة السحاب فألقى نوره الأغر على بلاط الفناء المتوحل وكنت اذذاك مختفيا خلف جزء من جدار أتبع جميع حركة الفتاة المسكينة بامعان لاني لم يكن بقي عندي ريب في أنها قد صممت على الانتحار وكنت أقول في نفسي: أقل ما في الامر اني ها هنا لا منعها منه وما كنت أجسر حتى هذه الساعة ان أظهر لها خشية أن تزيدها رويتها لمن شاهدها في هذه الحالة غضاضة وذلة فبمد ان تروت هنية كان حينها الكشيبي اثناها مسرح الانفعال والاضطراب نظرت الى ولدها وهيمت بكلمات مبهمه وهي مهز رأسها ثم هزلت داخله أحد الاكواخ الحقيرة وأغلقت بابها عليها

هذا كل ما علمته ويحتمل ان يكون كل ما سأعلمه من أمر هذه البائسة في حياتي وقد كنت تلك الليلة غير أهل لفعل الخير اذا فرض ان من الخير نتيجة نفس من الموت كانت توأم من الحب ثم اضطرت الى الكفر به وامنه
 كاني بك تساليني كيف ظهر لك انك ألوهية طوى امرأة طائشة اجيرة فاستأذنتك في تنزيهك عن سماع تفاصيل هذا الامر لانها لا تليق بك ويكفيني في ذلك ان أخبرك بانها كانت تخرض طالبين او ثلاثة غيري على التقرب منها في وقت واحد بقبول مساعيهم وهذا بقطع النظر عن أمير ورتنبورغي (١) يقال انها تحبه لانه فليت شعري هل أبصر احد في حياته نظيرة لتلك المرأة

لم يكن همليت (٢) مثلي في سوء الحظ لما كان يقول لمعشوقته أو فيليبا: «أيتها المرأة اسمك الخور فان اسم صاحبي هو الكذب والمكر والغش» هذا هو التمثال الذي بخرته بيخور أماني وجعلت له بن الآلهات العفيفات مكانا وكنت آتمى لو دنت مني الكواكب فانهزعتها من نظامها ونظمت له منها كايلا . على ان لي أمرا يسلميني وهو اني لم أدنس الحب في حال جنوني به

فاعلمي يا أماء انه لا يزال من حقي ان انظر اليك غير خجل لان خطيبي انا كانت سوء حكم لا ارتكابا لشيء من الحنا ولكن هذا لا يقلل من استباحي لعفوك فاعفري لولدك هفونه حتى يمكنه ان يفقرها لنفسه . اه

﴿المكتوب الايمن من هيلانه الى اميل﴾

عن لوندرة في ١٠ أكتوبر سنة ١٨٦٦

اعلم يا ولدي العزيز ان ما تقع فيه من ضروب الغي هو الذي يهدينا سبيل الرشد وان ما نقره من الذنوب هو الذي ينبئنا اذا تأملت منه ضمائرنا بأن لنا

(١) ورتنبورغي نسبة الى ورتنبورغ احدى ولايات المانيا (٢) همليت هو أمير جوتلاندي الذي تظاهر بالجنون ليأخذ بثأر أبيه الذي قتله أخوه باسم وقد كتب عنه شكسبير روايته المشهورة وجوتلاندي شبه جزيرة بالدنمارك عدد سكانها ٩٤٢٣٦٠ نفسا وعاصمتها فيبورغ

في نفوسنا قانونا زاجرا وأن الحكمة في رأيي هي ان نستفيد من كليهما نتعلم
لم تدهشني نهاية قصتك وسأتحامى كل التحامى ان أعيب سيرتك فيها لانيك
قد عبتنا بنفسك ولم يكن كل ما كان في وسمي تأديته اليك من النصائح قبل
ختمها المحزن ليساوي ما وعظمتك به تجربتك الذاتية ان في أمور الكون لعدلا
وان الدهر يضطرها الى أن تظهر للناس على حقيقتها وان كان يلند لخيلة الانسان
ان تزينها بالالوان الموهة وتفشيها بالاستار الحاجة وبهذا كان الدهر استاذنا جديما
عني ابي ان لم أقرّ لك بأن مكتوبك الاول سبب لي أشد ضروب القلق
والخيرة كنت قد كتمت بعض الحق نعم قد كان لي من الثقة بطيب عنصرك
وبما أعرفه فيك من أصول الشرف ما كان يكفيني للتأكد من انك لا تسفل
لارتكاب دنينة ما ولكني كنت أخاف عليك وأنت في هذه السن خدعة القلب
وجمحات العجب المفتون وأماي البسالة الخادعة فما يوجب الاسف ان أصدق
الناس في الحب وأخلصهم له هم كذلك اشد هم تعرضا لمخاطر دسائسه وأما الشبان
الذين يتخذون ما عليه الناس قدوة لهم في سيرتهم فان قلوبهم الجامدة
لا تتخدع بكذب الظواهر وهم الذين جعلت لهم المحبات المهيجة كما جعلت الخمر
المثيلة للسكيرين

تراهم يذاون من الهمة والنشاط في تحصيل القبضة أكثر مما يلزم وهم مع
هذا في اسوء عيش وانكده هؤلاء الجوالون في ميدان الغرام المتعاطون لدسائسه
اعتاضوا عن الحب بظله اعنى الظرف والكياسة في معاشره النساء وان خسة عواطفهم
لتنل على خاومهم من الادراك وهم شبيهون عندي بأشجار الصنصاف الجوفاء التي
تصادف على حافة السواقي (الانهار الصغيرة) في انها لتعفن قلوبها لم يبق لها حياة
الا في قشورها

ان الامم التي لا تجل رجالها نساءها ولا نساؤها انفسهن غير جديرة بالحرية
يدلك على ذلك أن عصور الاستعباد والمخاطات النفوس كانت هي عصور فساد الاخلاق
والأنهياك في الرذائل فاذا زالت هيبة الدين من النفوس وانعدم احساس الناس
بما عليهم من الفروض الكبرى رأيت الناشئين اذا اعوزهم ما يضيعون فيه أوقاتهم

يتصيدون الملاذ السهلة فأربأ بنفسك عن هذه الردغة (١) فلا مقرر لك فيها
 اني ربما كنت أعرف منك بنفسك لانه يتفق كثيرا لمن هم في سنك ان يضلوا
 فيشطوا في طاب مثال من الواقع لما يتخيّلونه من منتهى الكمال فيمن يريدون ان
 يجعلوها مناطا لحبهم وهو قريب المزال حاضر بين أيديهم . اري انك فوق حنقك
 على من غرتك نادم على ان كنت غير صادق في محباتك فتأمل في باطن ما تحفظه
 ذا كرتك تجديني قد أصبت المرمى فيما اقول فانك تعلم بوجود ذات من اترابك
 تفكر فيها ولا تتكلم في شأنها وتنكر ملامح وجهها وابتسامها وجرس صوتها وكل
 ما يتعلق بها حتى ثنيات حلماتها تمام النكر وان مثالها الظاهر ليسري سر بان الشماع
 فوق كتابك اذا فتحته لتقرأ فيه ما صنفه الشعراء وأنت تودّ لو تشاهد معها كل ما في
 الكون من الجمال وتسمع جميع ما للبرية من الاغارييد وهي التي ينطبق عليها ما تتخيله
 من معنى الفضيلة وتود من اجابها لو تكون أفضل الفضلاء فلك الذات هي التي تحبها
 فان لم تكن تأنس من نفسك شيئا من هذا لم تكن حتى الآن الا طفلا ولم بأن
 لك ان تمتد في نفسك انك محب فالحب الحقيقي هو الذي يرفع النفس ويبعث
 على طاب الخير وعلى ان يقتضي المحب من نفسه المحبوبة كل ما يقتضيه لنفسه منه
 لان الحب هو انصاف القلب

فاذا تربصت حتى يحصل في نفسك هذا الوجدان الطاهر فاياك ان تدنس
 اسمه باجرائه على لسانك قبل حصوله والاندمت فيما بعد أن لوئت شفقتك بالكذب
 والشبان خطأ آخر في الحب وهو أنهم يظنون انه اذا حصل بدسائس ووقائع
 كالتى تروى في القصص ازدادت لذته وكثرا لا يتهاج به فليس الامر كما يتوهمون
 لان في الحب من العظمة الذاتية ما يقنيه عن زخارف الخيال . ان انفلاح البار اذا
 راح الى بيته مساء بعد فراغ عمله وجلس لتناول مرقتة وأخذ يلحظ زوجته وهي
 تفزل أو تخطب بجانب المصطلى ثم يمسح رؤوس أولاده غلاظ العضلات مناديا كلا
 منهم باسمه وينكر في نفسه زمن ترقبه لزوجته « جنة » يوم الاحد في ظل شجرة
 الدر دار الكبرى في المزرعة ويراها لا تزال غضة الحسن موفورة الشباب كان أبهج

خيالا اضعافا كثيرة من حظي إلهة من إلهات الحب الجديدة
الشباب هوسن الأمانى والاحلام وطور الخيالات والأوهام ثم ان كثرة المطالعة
لأئمة لها في أغلب الأحيان الا افساد حكم القلب . على ان الحب في غاية الغنى عن
القصاص الخرافية لانه عبارة عن تاريخ لأصح ما في فطرتنا من ضروب الوجدان
واشدها استقلالاً فويل لمن لا يعشق ويتوله الا في الحلم لانه لا يثبت ان ينكشف
وههنا اذا حان وقت انتباهه .

يجب عليك قبل اهتمامك باختيار امرأة تحبها ان توجد لنفسك بين الناس
مقاما فان كل عمل تعمله في سبيل تحصيل العلم ورفع شأنك في نظر نفسك ومغالبة
مال الأثرة من أنواع الميل الأعمى وبلوغ ما للانسان من الشرف يفيد المرأة التي تتحبها
كما يفيدك وكن واثقا بأن هذا لا يمد منك في حقها كثيرا اذا كان يهيك ان
تكون أهلا لاجلالها لك حفظا لشرفك وصونا لعرضك

حاشية : فاتني ان أخبرك بأن « لولا » تتعلم الطب من أجل أن تقبلها جسمية
الطبيبات بلوندرية في عدادهن وكانا نحبك اه

(المنار) ليتأمل اللبيب هذا التذكير اللطيف بلولا التي تربت مع أميل مثل
تربته بعد بيان من تستحق الحب وبيان حقيقةه وغرور الشبان فيه فيالله ما هذه
الحكمة في هذه البلاغة

أنا وكل من يحبني

﴿ التقریظ ﴾

﴿ فرقان القلوب ﴾

كتيب جديد للشيخ محمد ابي الهدي افندي الصيادي الشهير قال في فاتحته
« وأرى ان هذا الكتاب المستطاب جدير بأن يدرس في مكاتب الاسلام .
لينتفع به ان شاء الله الخاصي والعام ، فإقراؤه ينتفع بالثواب المتعهي ، وبتعلمه